## الفصل الرابع

## من آثاره

### مواقف من حياته

كان الحسن يقص ويحكى قصص في الحج فمر عليه علي بن الحسين فقال له يا شيخ أترضى نفسك للموت قال لا قال فلله في أرضه معاد غير هذا البيت قال لا قال فثم دار للعمل غير هذه الدار قال لا قال فعملك للحساب قال لا قال فلم تشغل الناس عن طواف البيت قال: فما قص الحسن بعدها ٠

وقيل أن رجلا أتى الحسن فقال يا أبا سعيد إني حلفت بالطلاق أن الحجاج في النار فما تقول أقيم مع امرأتي أم أعتزلها فقال له قد كان الحجاج فاجراً فاسقاً وما أدري ما أقول لك إن رحمة الله وسعت كل شيء فأتى الرجل محمد بن سيرين فأخبره بما حلف فرد عليه شبيها بماقاله الحسن وأتى عمرو بن عبيد فقال له أقم مع زوجتك فإن الله تعالى إن غفر للحجاج لم يضرك الزنا ٠

وكان في جنازة وفيها نوائح ومعه رجل فهم الرجل

بالرجوع فقال له الحسن يا أخي إن كنت كلما رأيت قبيحاً تركت له حسناً أسرع ذلك في دينك وقيل له ألا ترى كثرة الوباء فقال أنفق ممسك وأقلع مذنب واتعظ جاحد ونظر إلى جنازة ازدحم الناس عليها فقال ما لكم تزدحمون هاتلك هي ساريته في المسجد اقعدوا تحتها حتى تكونوا مثله.

وحدث الحسن بحديث فقال له رجل يا أبا سعيد عن من فقال وما تصنع بعن من أما أنت فقد نالتك موعظته وقامت عليك حجته.

واجتمع مع أصحابه من فقهاء عصره مثل عامر الشعبي ابن سيرين في المسجد وأراد أحد ولاة بني أمية أن يحرجهم في إجابة لا ترضي أمير المؤمنين في دمشق فسأل : ما رأي الفقهاء في ولاية يزيد بن معاوية فسكت ابن سرين والشيعي ولم ينطقا بحرف ولكن الحسن البصري قال : إنها لم تأتي على وجه من وجوه الصواب.

وتابع الرجل سؤاله ليقول للحسن ما رأيك في الأحزاب تقاتل وتثير الفتن؟ فقال الدخول فيها حرام فقال السائل ولو في حزب أمير المؤمنين فرد الحسن في قوة ولو في حزب أمير المؤمنين وبهت السائل من صراحة الحسن الصارمة وحمل الدسيسة إلى دمشق فسكت القوم ولم يتهيجوا الشر أي لم يتوقعوه وحين ولي الخلافة يزيد بن عبد الملك

وعلم أن ألسنة أهل البصرة تتناوله بسوء وترى أنه لن يسلك مسلك الخليفة عمر بن عبد العزيز وبدت منه بوادر تدل على أنه سينهج نهج الغلظة والجبروت في حكمه كتب إلى عامله عمر بن هبيرة يأمره باستئصال أسباب الشر دون هوادة وأخوف ما كان يخافه أن يتناوله فقهاء البصرة بالذم فتثير القلوب وتهيج ضده النفوس فحاول أن يستلين الفقهاء بمعسول الكلام ودعاهم إلى مجلسه مرحباً

## رفض أن يكون قاضياً

ومن رسائله الذائعة ما كتبه إلى عدي بن أرطاه والى البصرة حين طلب منه أن يتولى القضاء وهو له كاره وألح عليه في ذلك فهرب الحسن واستتر ثم شاء أن يبسط له عذره فكتب إليه يقول: أيها الأمير ان الكاره للأمر غير جدير بقضاء الواجب فيه وإن العامل بغير نية حقيق الايعان عليه ولك في غيري كفاية وقناعة وقصدك إياهم وتعويلك عليهم أو في بك وأصون لعملك فإنه لا خير في الاستعانة بمن لا يرى أن العمل الذي يدعى إليه واجب عليه فعافني أيها الأمير وأحسن إلى بتركك التعرض لي فإن الله لا يضيع أجر من أحسن عملاً.

فلما قرأ عدى كتاب الحسن تأثر كثيراً وقال هذا عالم البصرة ترفع عن القضاء ولدينا من طلاب الدنيا من يبذلون وجوههم وشفاعاتهم في

طلبه فإذا كان قد رفض لأسباب يراها موجبة للرفض فلن أجبره على ما امتنع عنه وكتب إليه يقول إنه حر فيما يراه ولن يكون له غير الاحترام والتبجيل٠

## هو ومعاوية

إذا أراد أحد أن يتكلم في أحداث معاوية التي خالف فيها، قام كثير من الناس وقلبوا الدنيا رأسا على عقب إنكارا منهم للتاريخ وتبرأة للعاصي ، وذما لمن قال الحق أو أخذ به وهذا الحسن البصري وهو من أكابر التابعين يقول في معاوية بن أبي سفيان أنه ارتكب الموبقات، وهذا الإمام الشافعي لا يقبل شهادة معاوية ولا شهادة عمرو بن العاص فما الحكم على الحسن البصري وما الحكم على الإمام الشافعي؟؟ ٠

قال القاضي جمال الدين بن واصل، وروى ابن الجوزي بإسناده عن الحسن البصري أنه قال :أربع خصال كن في معاوية، لو لم يكن فيه إلا واحدة لكانت موبقة، وهي أخذه الخلافة بالسيف من غير مشاورة، وفي الناس بقايا الصحابة، وذوو الفضيلة، واستخلافه ابنه يزيد، وكان سكيراً خميراً يلبس الحرير، ويضرب بالطنابير، وادعاؤه زياداً، وقد قال رسول الله ص الولد للفراش، وللعاهر الحجر، وقتله حجر بن عدي وأصحابه، فيا ويلاً له من حجر وأصحاب حجر.

وروي عن الشافعي رحمة الله عليه، أنه أسر إلى الربيع، أنه لا يقبل شهادة أربعة من الصحابة، وهم معاوية، وعمرو بن العاص، والمغيرة، وزياد.

**موقفه مع ابن سيرين**

كان بين الحسن وبين محمد بن سيرين هجرة، فكان إذا ذكر ابن سيرين عند الحسن يقول: دعونا من ذكر الحاكة، وكان بعض أهل ابن سيرين حائكًا، فرأى الحسن في منامه كأنه عريان، وهو قائم على مزبلة يضرب بالعود، فأصبح مهموماً برؤياه، فقال لبعض أصحابه: امض إلى ابن سيرين، فقص عليه رؤياي على أنك أنت رأيتها، فدخل على ابن سيرين وذكر له الرؤيا فقال ابن سيرين: قل لمن رأى هذه الرؤيا، لا تسأل الحاكة عن مثل هذا فأخبر الرجل الحسن بمقالته، فعظم لديه، وقال: قوموا بنا إليه، فلما رآه ابن سيرين، قام إليه وتصافحا وسلم كل واحد منهما على صاحبه، وجلسا يتعاتبان، فقال الحسن: دعنا من هذا، فقد شغلت الرؤيا قلبي فقال ابن سيرين: لا تشغل قلبك، فإن العري عري من الدنيا، ليس عليك منها علقة وأما المزبلة فهي الدنيا، وقد انكشفت لك أحوالها، فأنت تراها كما هي في ذاتها، وأما ضربك بالعود، فإنه الحكمة التي تتكلم بها وينتفع بها الناس فقال له الحسن:

فمن أين لك أني أنا رأيت هذه الرؤيا؟ قال ابن سيرين: لما قصها علي فكرت، فلم أر أحدًا يصلح أن يكون رآها غيرك.

## موقف الحسن مع عمر بن عبد العزيز

كتب الحسن إلى عمر بن عبد العزيز: أما بعد يا أمير المؤمنين، اعلم أن الدنيا ليست بدار إقامة وإنما أهبط آدم إليها عقوبة؛ فبحسب من لا يدري ثواب الله أنه ثواب، وبحسب من لا يدري عقاب الله أنه عقاب، ليست صرعتها كالصرعة تهين من أكرمها، وتذل من أعزها، وتفقر من جمعها، ولها في كل حين قتيل، فالزاد منها تركها والغنى فيها فقرها، هي والله يا أمير المؤمنين كالسم يأكله من لا يعرفه ليشفيه وهو حتفه؛ فكن فيها يا أمير المؤمنين كالمداوي جرحه يحتمي قليلاً مخافة ما يكره طويلاً، ويصبر على شدة الدواء مخافة البلاء، فأهل البصائر الفضائل فيها يا أمير المؤمنين مشيهم بالتواضع، وملبسهم بالاقتصاد، ومنطقهم بالصواب، ومطعمهم الطيب من الرزق، قد نفذت أبصارهم في الآجل كما نفذت أبصارهم في العاجل، فخوفهم في البر كخوفهم في البحر، ودعاؤهم في السراء كدعائهم في الضراء، ولولا الأجل الذي كتب عليهم لم تقر أرواحهم في أبدانهم إلا قليلاً خوفًا من العقاب وشوقًا إلى الثواب، عظم الخالق في أعينهم وصغر المخلوق

عندهم فارض منها بالكفاف وليكفك ما بلغك المحل.

**الحسن والحجاج**

قال تعالى : (الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمان وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم) والحسن عالم جليل وتابعي كبير ناطق بالحق لا يخشى في الله لومة لائم من الرجال القلائل الذين تصدوا لطغيان الحجاج الثقفي وجهر بين الناس بسوء أفعاله ومن ذلك أنّ الحجاج بنى لنفسه بناءاً في واسط فلما فرغ منه دعا الناس أن يخرجوا للفرجة عليه والدعاء له بالبركة فلم يشأ الحسن أن يضيع على نفسه فرصة اجتماع الناس هذه فخرج إليهم ليعظهم ويذكرهم ولما بلغ المكان ونظر إلى جموع الناس تطوف بالقصر مأخوذة بروعة بنائه وقف فيهم خطيباً وقال لقد نظرنا فيما ابتنى أخبث الأخبثين فوجدنا أنّ فرعون بنى وشيد أعظم مما بنى وشيد ثم اهلك الله فرعون وأتى على ما بنى وشيد ليت الحجاج يعلم أنّ أهل السماء قد مقتوه وأن أهل الأرض قد غروه ومضى في حديثه حتى أشفق عليه أحد الحاضرين من نقمة الحجاج فقال له حسبك يا أبا سعيد حسبك فقال له الحسن لقد أخذ الله الميثاق على أهل العلم لتبيننه للناس ولا تكتمونه وفي اليوم التالي دخل الحجاج إلى مجلسه وهو يتميز

غضباً وقال لجلاسه تباً لكم وسحقاً يقوم عبد من عبيد البصرة ويقول فينا ما يقول ثم لا يجد فيكم من يرده والله لأسقينكم من دمه ثم أمر بالسيف والنطع وهو بساط من جلد يوضع تحت المحكوم عليه بقطع الرأس ودعا الجلاد ثم وجه من يحضر له الحسن فلما وقف الحسن بباب الحجاج ورأى ما رأى حرك شفتيه بكلام ثم دخل فأقبل عليه الحجاج وقد هابه أشد الهيبة وقال له هاهنا يا أبا سعيد ها هنا حتى أجلسه إلى جانبه وأخذ يسأله عن أمور الدين ثم دعا بعطر فعطر له لحيته وودعه وهو يقول أنت سيد العلماء يا أبا سعيد فتبعه أحدهم وقال والله لقد دعاك لغير هذا ولكن حركت شفتك بكلام فما قلت ؟ فقال : قلت اللهم يا ولي نعمتي وملاذي عند كربتي اجعل نقمته برداً وسلاماً علي كما جعلت النار برداً وسلاماً على إبراهيم ٠

## القدرية كذبوا عليه

قال الذهبي في سير أعلام النبلاء كذب على الحسن سربان من الناس : قومٌ من القَدَرية ؛لِيُنَفِّقُوه في الناس بـالحسن وهم مبتدعة لو قالوا للناس: مذهبنا كذا وكذا فلا أحد سيقبل منهم؛ لأنهم مبتدعة؛ فكذبوا على الحسن؛لأن الحسن ثقة عند الناس، فإذا قيل للناس إن الحسن يقول : كذا، فإن الناس يأخذون بقوله، فكذبوا عليه أنه قال أشياء؛ لكي

يُنَفِّقُوا بدعتهم بين الناس ويروجوها وقومٌ في صدورهم شنآن وبغض للحسن ؛ فالذي افترى عليه طائفتان: طائفة تريد ترويج البدعة، وطائفة تبغضه وتكرهه.

**من مواعظه :**

وكانت مواعظ الحسن تهز القلوب وتنبه الغافلين وتستدر دموع السامعين؛ فمن مواعظه: إن مثل الدنيا والآخرة كمثل المشرق والمغرب، متى ازددت من إحداهما قربا ازددت من الأخرى بعداً، الدنيا دار أولها عناء وآخرها فناء، وفي حلالها حساب وفي حرامها عقاب، من استغنى فيها فتن ومن افتقر فيها حزن .

**من شعر ه رحمه الله**

توشك العين تغيض والبحيرات تجفّ.
بعضنا يصطاد بعضاً والشباك تختلف.
ذا يجئ الأمر رأسا ذا يدور أو يلف.
والصغير قد يعف والكبير لا يعف.
والإمام قد يسف والصغير لا يسف.
والثياب قد تصون والثياب قد تشف.
والبغي قد تداري سمها وتلتحف.

والشتات لا يزال .. يأتلف و يختلف.

والخطيب لا يزال .. بالعقول يستخف.

والقلــوب لا تزال.. للشمال تنحرف.

والصغير بات يدري.. كيف تؤكل الكتف.

لا تخادع يا صديقي بالحقيقة اعترف.

وله أيضاً

كل حى سيموت ** ليس فى الدنيا ثـبوت

حركات سوف تفنى ** ثم يتلوهـا خفوت

و كلام ليس يحلو ** بعــده الا السكوت

أيها السادر قل لى ** أين ذاك الجبـر وت

كنت مطبوعا على النطق ** فما هذا الصموت ؟؟

ليت شعرى ، أهمـودٌ ** ماأراه ، أم قنوت؟

أين أملاك لهم فـى ** كل أفـق ملكـوت

زالت التيجـا ن عنهم ** وخلت تلك التخـوت

أصبحت أوطانهم من** بعدهم وهى خبوت

لا سميع يفقه القول ** ولا حى يصوت

عمرت منهم قبور** وخلت منهم بيوت



obeikandl.com

**لم تذد عنهم نحوس الدهر ** إذا حانت بخوت**

**خمدت تلك المساعى ** وانقضت تلك النعوت**

**إنما الدنيا خيال ** باطل سوف يفوت**

**ليس للانسان فيها ** غير تقوى الله قوت**

obeikandl.com

obeikandl.com